المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز

جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز
Prince Sattam Bin Abdulaziz University

مجلة العلوم الشرعية واللغة العربية

بجامعة الأمير سطام بن عبد العزيز

مجلة دورية علمية محكمة تعنى بنشر العلوم والدراسات في مجال العلوم الشرعية واللغة العربية، وتصدر مرتين في السنة مؤقتًا

مفهوم الاستنباط ومكوناته في سياق الاستعارة التصورية

(دراسة في التأصيل وأفق التأويل)

إعداد

د. سعود بن حامد الصاعدي

أستاذ مشارك، بقسم البلاغة والنقد، بجامعة أم القرى

تصدر عن جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز

ردمد ١٦٥٨ - ٧٢٧٨

مفهوم الاستنباط

ومكوناته في سياق الاستعارة التصورية

دراسة في التأصيل وأفق التأويل

إعداد

د. سعود بن حامد الصاعدي

أستاذ مشارك، بقسم البلاغة والنقد، بجامعة أم القرى

- حصل على درجة الماجستير في البلاغة والنقد من كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى، عن أطروحته: تأويل الرؤيا في الصحيحين وعلاقته بقراءة النص الشعري.
- حصل على الدكتوراه من كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى عن أطروحته: الموازنة بين صور المعاني في ضوء نظرية النظم وأثرها في دراسة الإعجاز.

بسم الله الرحمن الرحيم

الملخص

موضوع البحث: مفهوم الاستنباط ومكوناته في سياق الاستعارة التصورية – دراسة في التأصيل وأفق التأويل.

أهداف البحث: دراسة مفهوم الاستنباط ومكوناته في سياق الاستعارة التصورية؛ بغية الكشف عن مدى قدرة هذا المصطلح الأصيل على الاتساع في أفق التأويل المنضبط بلغة النص البياني

منهج البحث: المنهج الوصفي التحليلي، مع الاستعانة بالمنهج التأويلي في المبحث الثالث.

أهم النتائج: وثمرة هذه الدراسة تكمن في توسيع أفق الاستنباط وتثميره في الدراسة البلاغية والأدبية، كما تكمن في الكشف عن السياق التصوّري المتعلّق به، حيث يرتكز هذا التصوّر في المقابلة بين الوحي والغيث، وهو ما أنتج أربعة معاقد انتظمت فيها دلالة هذا المفهوم هي الرؤيا والسقيا والعبور والعاقبة

التوصيات: الاهتمام بهذا المفهوم الأصيل في الدراسات البينية، وبغيره من المفاهيم ودراستها في السياق التصوّري لتعلّقه ببنية التفكير وأصالة الفكر

الكلمات المفتاحية: البئر، الاستنباط، التأويل، السياق، التكليف، التثقيف.

Abstract

The current research investigates the concept of deduction and its components in the context of conceptual metaphor; it aims to reveal the extent of this term ability to expand in the horizon of disciplined interpretation in the language of the declaring text.

This necessitated dividing the study in three topics, a topic related to rooting, a topic related to the horizon of interpretation, and a third topic related to the well and its interpretive connotations. The study adopted the descriptive analytical approach, with the assist of the interpretative approach .

The researcher reached the possibility of this concept's expansion and benefiting from which at the field of rhetorical study in the context of the sensory conception that enhances the context of rhetorical education in opposite to the context of the fundamental assignment.

The fruit of this study lies in taking benefits of deduction in both rhetorical and literary studies; it also lies in revealing the related conceptual context, since this conception is based on the contrast between revelation and relief that has produced four complexes in which the significance of this concept was organized: vision, watering, transit and consequence.

The most prominent recommendation: paying attention to this original concept in both literary and rhetorical studies .

Keywords: Well, deduction, interpretation, context, assignment, education.

المقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان، علَّمه البيان، والصلاة والسلام على المبعوث بأفصح لسان، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان، وبعد:

فانطلاقاً من البيان العربي ومكوناته السياقية تكليفاً وتثقيفا يقوم هذا البحث بدراسة مفهوم الاستنباط في سياق الاستعارة التصورية التي تكشف عن أبعاد هذا المصطلح وما ينطوي عليه من دلالات في سياق التثقيف، ويهدف البحث من دراسة مفهوم الاستنباط في هذا السياق التصوّري تأصيلاً وتأويلاً إلى توسيع أفق الاستنباط من جهة، وتأصيله في مناهج الدراسة الأدبية، بوصفه أداة من أدوات التفسير والتحليل البلاغي، والغرض من توسيع أفق الاستنباط التأويلي الردُّ على الفكرة الشائعة بين بعض الدراسين المعاصرين في حقل مدارس التأويل، تلك الفكرة التي ترى أنَّ مفهوم الاستنباط يحصر الدلالة ويضيّق سعة ورحابة النصوص الشرعية في الفهم في مقابل التأويل الذي يمنح الدلالة أفقًا أوسع، إضافة إلى الإفادة من الدراسات الشرعية في إثراء الدراسات البيانية.

وسيقوم الباحث بتحليل مكوّنات المفهوم التصوّرية، في إطار ما عرف بالاستعارة المعرفية التصورية لاختبار فرضية هذا السخاء الدلالي الذي يسخو به النصّ الشرعي.

من هنا سيتم تناول البحث من محورين رئيسين:

١- التأصيل: وفيه سيدرس الباحثُ المصطلح ومكوّناته المعجمية في السياق التصوّري وعلاقتها بالمصطلح في حقله العلمي.

٢- أفق التأويل: وفيه مقارنة ومقاربة بين الاستنباط والتأويل، وإمكان الجمع بينهما في التفسير والتحليل، مع تقديم نموذج تطبيقي يتعاضد فيه الاستنباط والتأويل، لبيان مدى صلاحية مصطلح الاستنباط في حدود آفاق التأويل.

وأسئلة البحث الرئيسة هي: ما مدى اتّساع مصطلح الاستنباط في استخراج

الدلالات من البيان القرآني؟ وهل في الإمكان الربط بينه وبين التأويل؟ وكيف يمكن تفعيله في الدرس البلاغي واستنباته في منهج تحليل البيان ليكون أداة منهجية من أدوات التحليل البلاغي والأدبي؟

أما منهج الدراسة فهو المنهج الوصفي، حيث قام البحث بوصف مكونات المفهوم وتحليلها، مع الاستعانة بالمنهج التأويلي في النظر إلى السياق التصوّري لمعجم المفهوم الدلالي ومعانيه التثقيفيّة الإحسانية.

المبحث الأوَّل: (التأصيل)

المطلب الأول: (جذر المفهوم ومكوناته المعجمية في السياق التصوري)

أ- عناصر المفهوم المعجميّة:

يستند مفهوم الاستنباط على دلالته الوضعية في المعجم، حيث يدلُّ معناه الاشتقاقي على (الاستخراج). يقال: نبط الماء نبوطا، وأنبطته: أخرجته بالحفر عنه، وقد سُمّي قوم من الأعراب نبطًا لأنّهم أنبطوا الماء من الأرض [(١)]، وعلى هذا فمعنى استنبط: استخرج، وفي صيغة "استفعل" المزيدة دلالة على الطلب والاجتهاد والمثابرة في استخراج الماء من باطن الأرض.

قال الطبري: "وكل مستخرج شيئاً كان مستترا عن العيون، أو عن معارف القلوب، فهو له مستنبط، يقال: استنبطت الركيّة: إذا استخرجت ماءها"[(٢)]، ويقال: "استنبط الفقيه: إذا استخرج الفقه الباطن بفهمه واجتهاده"[(٣)].

ومن المهم هنا، في المكوّنات العجمية، التأكيد على نوع المُستَخرَج من باطن الأرض، وهو الماء، لأنّ الدلالة مرتبطة به، فالماء المُستَخرَجُ من باطن الأرض، وتخصيص دلالة الاستنباط به مهمة في اتساع الدلالة الاصطلاحية.

وعلى هذا يمكن تحديد مفردات المفهوم الاشتقاقي للاستنباط بالمكوّنات الآتية:

١- الأرض: وهي وعاء الماء وخازنته.

٢- الماء: الكامن في الأرض.

٣- فعل الاستخراج: وهو هنا مقيّدٌ بأحرف الزيادة التي تدلُّ على الاجتهاد والطلب.

فيتحصّل من ذلك أنّ مفهوم الاستنباط الوضعي هو: استخراج الماء من باطن

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة (نبط)، ٢/ ٥٣٧.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، (٨/ ٥٧١).

(٣) العباب الزاهر واللباب الفاخر، للصغاني، (حرف الطاء: ص٢٠٧).

الأرض مع مراعاة ما يتعلَّق بذلك الاستخراج من كدّ وطلب ومثابرة.

فإذا أنعمنا النظر كرّةً أخرى ظهرت لنا مكوّنات مستترة لازمة عن المكوّنات الظاهرة، هي السماء باعتبار الغيث، والغرس باعتبار ما ينتج عن الغيث واستنباط الماء من باطن الأرض، وعليه يمكن إضافة هذه المكونات إلى المكونات المعجمية بغية مراعاتها أثناء تحليل أبعاد المصطلح العلمي وسعته تأصيلا وتأويلا، لأنّ هذا هو ما يجعل مفهوم الاستنباط لا حدّ له، بحيث يشمل سياق التكليف من المعاني التشريعية، وسياق التثقيف من المعاني الإحسانية "ككثير من اللطائف والملح العلمية، والاستنباطات العلمية من فقه وآداب وتربويات وهدايات قرآنية وغيرها"[(١)].

ولهذا يرى د. مساعد الطيار أنّ مفهوم الاستنباط أوسع من التفسير الذي حدّه بالبيان "فما كان فيه بيان، فهو تفسير، وما كان خارجًا عن حدّ البيان، فإنّه ليس من التفسير وإن وُجِدَ في كتب المفسّرين"[(٢)]، كما يرى "أنّ من أهمّ ما هو خارجٌ عن البيان، ومن أنفعه للناس بعد التفسير= علم الاستنباط من القرآن الذي لا حدّ له، وقد يفتح الله على عباده في عصر ما لم يفتحه على من قبلهم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء"[(٣)].

ولا شك أنّ هذه الفتوحات في (علم الاستنباط) مما يتّسق مع مكوناته المعجمية إذا ما روعيت عناصر الغيث: الماء والأرض، واستثمار ذلك بالاستنباط والحرث والسقي، وهذه العناصر هي ما يعزّزها بيان الوحي في سياق تصوّري كامل[(٤)].

---

(١) مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبّر والمفسّر، مساعد الطيار، ص١٥٩

(٢) المرجع السابق، ص ٦٤.

(٣) المرجع السابق، ص ١٥٩.

(٤) تجدر الإشارة هنا إلى دراسة مهمة في هذا السياق بعنوان (علم الاستنباط من القرآن، المفهوم والمنهج، د. نايف بن سعيد الزهراني، صدرت عن مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الشاطبي، جدة، الطبعة الأولى(١٤٤٠هـ، ٢٠١٨م)، وتختلف دراستنا عنها من جهة المعالجة،

وبإنعام النظر في السياق التصوّري لمفهوم الاستنباط يظهر لنا أنّ هذا المفهوم نتاج سياق كامل من المكونات التي أنتجته في استعارة تصوّرية كبرى تنضوي تحتها استعارات صغرى، فاستنباط الماء هو محور هذه الاستعارة، وتحتها تنضوي عدة مفردات في خطين متوازيين بين الحقيقة والمجاز، فالاستنباط والسقي والغرس والإنتاج، في مقابل الفهم والتعليم والاجتهاد، وهذان المساران تنطوي عليهما بنية التمثيل في الحديث الشريف: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضًا»[(١)].

وعلى هذا فمن المهم تحديد مفهوم الاستعارة التصوّرية التي تتأسس عليها بنية البحث التأويلية لهذا المفهوم.

ب ـ بنية الاستعارة التصوّرية:

يفرّق دارسو البلاغة بين الاستعارة التصوّريّة والاستعارة التصويرية، من جهة أنّ الثانية نتيجة للأولى، فالاستعارة التصوّرية "خاصيّة للتصوّرات، وليس للكلمات"[(٢)]، كما أنّ وظيفتها "هي فهم أفضل لبعض التصوّرات، وليس فقط لأغراض فنيّة وجماليّة معيّنة"[(٣)]، ولذلك فالاستعارة التصويرية، "هي تجلّ للاستعارة التصوّرية"[(٤)].

كما أنّ الاستعارة التصورية تستند على ثلاثة مبادئ: "هي مبادئ النسقيّة

حيث نتجه في هذه الدراسة إلى تحليل مكونات المفهوم المعجمية في سياق الاستعارة التصوّريّة، كما نحاول الربط بين الاستنباط والتأويل في أفق تصوّري تعنى به الدراسة البلاغية والأدبية.

(١) أخرجه البخاري ومسلم، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، (١/ ١٦٠ ـ ١٦٢)، صحيح مسلم بشرح النووي (١ / ٤٦).

(٢) نظرية الاستعارة التصورية والخطاب الأدبي، عمر بن دحمان، ص٦٠

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق، ص ٦١.

والانسجام والهيكلة"[(١)]، ومن مجموع هذه المبادئ يتحقق تصوّر ونسق استعاري كامل للتفكير والتعبير، "ويلاحظ أنّ الصيغة النسقية تنتقل من مجال التصوّر إلى مجال اللغة، إذ ينجم عن نسقية التصوّر الاستعاري أنّ اللغة التي تستعمل للتعبير عن هذا المظهر الذي يستند إلى التصوير تضحي هي نفسها لغة نسقيّة"[(٢)]، أمّا الانسجام فيتعلّق بالقيم الثقافية؛ "إذ إنّ القيم التي تتجذّر بعمق في ثقافة من الثقافات تكون منسجمة مع النسق الاستعاري الذي يحيا به المنتمون إليها"[(٣)]، في حين تُقدّم الهيكلة البناء الاستعاري في بنية مترابطة في شبكة من العلاقات التي تشدّ الاستعارات الصغرى للاستعارة الكبرى، وغالباً ما يظهر ذلك في بنية التمثيل لاستناده على عناصر تكوّن بمجموعها البنية الاستعارية التي تصبح هي أساس التصوّر.

وبإجراء المفهوم التصوّري للاستعارة يظهر لنا أنّ الاستنباط استعارة تصوّرية نتج عنها نسق شمل كل مكونات هذه الاستعارة، بدءًا من البئر التي هي أساس الجذر المعجمي، ويندرج في هذا السياق كل ما يتعلّق بهذا المفهوم من عناصر ومفردات تسعى الدراسة إلى كشف ما ينطوي عليه من معان تثقيفية وإحسانية.

وفي هذا السياق التصوّري للاستعارة يحسن التنويه إلى أنّ تناول (نموذج البئر) وما يتعلّق به من ألفاظ، كالاستنباط والسقي والغرس والاستثمار، في مقابل الفقه والفهم والاجتهاد، إنما يتحرّك في أفق استعاري على مستوى التصوّر وعلى مستوى التصوير، وأنّ التصوير، كما في الحديث النبوي للوحي وموقف الناس منه[(٤)]، إنما هو نتاج إدراك تصوّري للعالم من واقع عربيّ في بيان عربيّ، ولذلك فكلّ الألفاظ المتعلّقة

(١) الصورة في الشعر الجاهلي، الحبيب الدريدي، ص١٣٤.

(٢) المرجع السابق، ص١٣٥.

(٣) المرجع السابق، ص١٣٧.

(٤) ينظر حديث: «مثل ما بعثني الله به من العلم والهدى ..»، الجامع الصحيح ١/ ٤٥، فتح الباري ١/ ٢٣٢، عمدة القاري ٢/ ٢٤.

بمفهوم الاستنباط هي ألفاظ استعارية تصويرية نتجت عن سياق تصوّري تكشف عنه لغة الحديث التمثيلية التي هي أساس مبنى الاستعارة الكلية لهذا المفهوم الشرعي توسيعًا للجذر الاستعاري في المفردة القرآنية (يستنبطونه)، "ففي الفعل استعارة مكنية تبعيّة حيث شبّه ما يستخرجه الرّجل بفضل ذهنه من المعاني والآراء الصحيحة في المعضلات بالماء المستخرَج من البئر بجامع الاستنباط، ويجوز أن تكون تصريحية تبعيّة حيث شبّه استنباط الفهم والحكمة باستنباط الماء من البئر بجامع المهارة والإتقان في كلٍّ ثم حُذفَ المشبّه وادّعى أنه من أفراد المشبّه، واستعير الاستنباط لدقائق الفهم ثم اشتقّ من الاستنباط (يستنبط) على طريقة الاستعارة التصريحية التبعيّة"(١)، فالدراسة برمّتها تتحرّك في بنية استعارية ذات صلة بالدرس البلاغي تصوّرًا وتصويراً.

المطلب الثاني: (تأصيل المفهوم).

ورد فعل الاستنباط، في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[النساء: ٨٣]، وهذه هي الخطوة الأولى في نقل دلالة الاستنباط من المستوى الوضعي المعجمي إلى المستوى العلمي الاصطلاحي، حيث تشير الآية إلى ردّ ما يشكل ويحتاج إلى إنعام نظر وتأمّل وتدبّر، إلى الرسول وأولي الأمر، وهذا الردُّ هو الذي يمنح مفهوم الاستنباط دلالة مجازية تُعنى بالنظر في مسائل العلم والأمور المُشكلة وربطه معجمياً بنظر من يتأمّل في باطن الأمر حتى يستخرج أسراره الكامنة كما يُستخرَجُ الماء من باطن الأرض،"ووشيجة القربى بين استنباط الماء من باطن الأرض واستنباط العلم من الكتاب والسنّة جدّ عظيمة في كلّ من الفعل والثمرة"(٢).

(١) بلاغة الفرائد الفذّة في القرآن الكريم: المضارع نموذجًا، كمال عبد العزيز إبراهيم، ص ٢٤.

(٢) سبل استنباط المعاني من الكتاب و السنّة، دراسة منهجية تأويلية ناقدة، محمود توفيق محمد سعد،

إنّ النظر إلى هذه العلاقات بين المعنى المعجمي والمعنى الاصطلاحي هو الذي يؤصّل لهذا المصطلح من جهة، ويجعله أغزر إنتاجًا وأوسع أفقا وتأويلا من جهة ثانية، وذلك أنّ اعتبار الاجتهاد والطلب والمثابرة في استخراج الماء مع ما ينتج من زروع وثمار يأتي في مقابل الاجتهاد والطلب والمثابرة في طرق مسائل العلم واستخراجها من فحوى النصوص البيانية وإدراك الأسرار واللطائف؛ إذ "لا يكون استنباط الماء بغير اجتهاد وفراسة، وكذلك مسائل العلم، وكلما بالغ المرء في التوغّل في أدبار الأرض كان الماء أعذب وأنقى، وكذلك العلم"[(١)].

فنلحظ أنّ العبارة القرآنية (يستنبطونه) هي أصل هذا النقل إلى أفق العلم، يقول البقاعي في معنى العبارة: "أي: يستخرجونه بفطنتهم، وتجربتهم، كما يستخرج الإنباط المياه ومنافع الأرض"[(٢)]، ويقول ابن عاشور: "والاستنباط حقيقته طلب النَّبَط بالتحريك، وهو أوّل الماء الذي يخرج من البئر عند الحفر، وهو هنا مجاز في العلم بحقيقة الشيء ومعرفة عواقبه، وأصله مكنيّةٌ: شُبّه الخبر الحادث بحفير يُطلَبُ منه الماء، وذكرُ الاستنباط تخْيِيلٌ، وشاعت هذه الاستعارة حتى صارت حقيقة عرفيّة، فصار الاستنباط بمعنى التفسير والتبيين"[(٣)]؛ فالبقاعي وابن عاشور يربطان بين المعنى المعجمي والمعنى الاصطلاحي مع عدم إغفال العنصر المعجمي المهمّ وهو عنصر الماء، حيث أشار البقاعي إلى (المياه ومنافع الأرض) كما أشار ابن عاشور إلى (أوّل الماء الذي يخرج من البئر عند الحفر)، كما نبّه إلى انتقال الاستنباط من الحقيقة اللغوية إلى الحقيقة العرفية من طريق الاستعارة والتخييل، وما ذكره ابن عاشور من انتقال الاستنباط من الحقيقة اللغوية إلى الحقيقة العرفية هو ما يدرس ضمن سياق

ص٣٥.

(١) المرجع السابق.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآي والسور، البقاعي، ٥/ ٣٤٣.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٥/ ١٤١

الاستعارة التصوّرية التي تتعلّق بالإدراك والتصوّر[(١)].

وقد جاء البيان النبوي ليكشف أسرار هذا الاستعمال المراعي لعناصر المفهوم المعجميّة من خلال (التمثيل)، فقد ورد في الصحيح عن أبي موسى الأشعري ﷺ، عن النبي ﷺ أنّه قال: «مَثَلُ ما بعثَني اللهُ به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصابَ أرضًا فكان منها نقيَّةٌ قَبِلَتْ الماءَ فأنبتت الكلأ والعشبَ الكثير، وكانت منها أجادبُ أمسكتِ الماءَ فنفع اللهُ بها فشربوا وسَقَوا و زَرَعوا، وأصابت منها طائفةً أخرى إنما هي قيعانُ لا تمسكُ ماءً ولا تنبتُ كلأً، فذلك مَثَلُ من فقُه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به، فعلم وعلَّم، ومَثَلُ مَن لم يرفع بذلك رأسًا، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلتُ به»[(٢)].

عند النظر في هذا الحديث بتأمّل يراعي عناصر التمثيل وما تفضي إليه من دلالات سخيّة يتجلّى بوضوح ما ينطوي عليه بمجموع عناصره من اعتبار لملكة الاستنباط في تلقّي العلم واستخراج مسائله، فهو يحتوي على كلّ مكونات المعنى الأصلي وربطه بالمفهوم الاصطلاحي، **حيث الأرض، والغيث واستخراج الماء من باطن الأرض، وخصوصًا** في الطائفة التي وصفت بانّها "أجادب أمسكت الماء"، فهي التي تستدعي الحفر واستنباط الماء، ولذلك فهي تفضي إلى الطائفة التي تستنبط مسائل العلم، وهم مع الطائفة الأولى، قد ورد وصفهم في الحديث بقوله: "فذلك مَثَلُ من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به، فعلم وعلّم".

وهذه الطائفة مع الطائفة الأولى فرعان عن قسم واحد يقابل قسمًا آخر هو الذي لم ينتفع بالهدى والعلم، وعليه فإنّ "الأرض قسمان نافعة وغير نافعة، والنافعة نقيّةٌ

(١) ينظر: الاستعارات التي نحيا بها، جورج لايكوف ومارك جونسون، ترجمة عبد المجيد جحفة، ص ١٩٠ وما بعدها.

(٢) الجامع الصحيح، البخاري ١/ ٤٥ ،فتح الباري، ابن حجر، ١/ ٢٣٢، عمدة القاري، العيني، ٢/ ٢٤.

تنبت وأجادب لا تنبت ولكنها تمسك الماء، والناس نوعان فَقُه ولم يرفع رأسًا"[١]، كما ذكر ذلك محمد أبو موسيى إذ يرى أنّ الفرق بين النوعين المندرجين في الطائفة الأولى "فرقٌ في الاستنباط والقدرة على إحداث نماء في المعرفة، وإحداث معانٍ حيّة وحيويّة فيها"[٢]، ويمكن، أيضًا، النظر إلى الأرض باعتبار الأقسام ثلاثة أنواع، إلا أنّها باعتبار المستثمر نوعان: طائفة ممدوحة وهي تشمل القسمين الأوّلَين لاشتراكهما في الانتفاع، وطائفة مذمومة هي القسم الثالث[٣]، فتكون الأرض ثلاثة أقسام والناس ثلاثة أنواع: نوعان مستثمر هما: من علم وعلّم، ومن حفظ وبلّغ، أمّا النوع الثالث فهو الذي لم يرفع رأسًا.

من هنا يجدر النظر في هذه العناصر وتحريرها بلغة العلم؛ فالفقه لغةً: "العلم بالشيء والفهم له والفطانة"[٤]، واصطلاحاً "العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية"[٥]، وهذا التعريف هو الذي استقرّ عليه جمهور الأصوليين المتأخرين لكونه الأشهر والأضبط [٦].

وهذا العلم يتوقّف على الاستنباط، ولا يكون التعبير بالفهم إلا عمّا يحتاج إلى نظر وتأمّل، ولهذا فالفهم يؤدي إلى الاستنباط واستخراج المسائل من أعماق النصوص الشرعية، كما يُستخرَجُ الماء من باطن الأرض، ولهذا أطلق الاستنباط على "كلّ ما يستخرجه الإنسان من مكنون سرٍّ أو غامضٍ عامّ"[٧]، ومن هنا ارتبط

(١) شرح أحاديث من صحيح البخاري، دراسة في سمت الكلام الأول، محمد أبو موسى، ص ١٩١.

(٢) المرجع السابق ،ص١٩١.

(٣) ينظر: نظرات فقهية وتربوية في أمثال الحديث مع تقدمة في علوم الحديث، عبد المجيد محمود، ١٢٧، ١٢٩.

(٤) ينظر: لسان العرب، مادة "فقه" ١٣/ ٥٢٢، والمعجم الوسيط، مادة "فقه"، ٢/ ٦٩٨.

(٥) التعريفات، الجرجاني، ص: ١٤١.

(٦) ينظر: تحليل النص الفقهي، دراسة نظرية تطبيقية، خالد السعيد، ١/ ٤٩.

(٧) غريب الحديث ،الخطابي ،تحقيق العزباوي: ١/ ٥٢١، مادة (نبط) .

مفهوم الفقه بهذا الفهم العميق، فتقرّر "أنّ الفقه هو معرفة بواطن الأمور والوصول إلى أعماقها، فمن لم يعرف من الأمور إلا ظواهرها لا يُسمَّى فقيها"(١).

وعلى هذا يتبيّن أنّ الحديث النبوي ينطوي في معانيه على مفاهيم علميّة ذات علاقة بمفهوم الاستنباط، كلها تدور في حقل تدبّر النصوص الشرعية، قرآنًا وسنّةً، ويأتي الاستنباط في أعلى مستوياتها لأنّه من نتائج التدبّر، وبحسب د. محمود توفيق، فإنّ "الاستنباط إنما هو ثمرةٌ من ثمار التدبُّر الذي هو غايةٌ من غايات إنزال الكتاب الموصوف بأنّه مبارك، وهو وصفٌ ذو دلالةٍ باهرة مباركة في هذا المساق، فهو المصدر الدائم الكثير الخير والنفع الذي لا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد ولا تشبع منه العلماء، إذ هو مائدة الله ﷻ إلى هذه الأمة"(٢).

ويمكن النظر هنا إلى العلاقة بين وصف الكتاب ووصف الماء، فالكتاب مباركٌ ليدبّروا آياته، والماء أنزله الله من السماء (مباركاً)، والبركة تعني الزيادة والعطاء المستمرّ المتواصل، وعلى هذا المعنى يمكن فهم دلالة (الاستنباط) حين تتعلّق بالعلم المبارك، أو بالماء المبارك، وهذا المعنى منظورٌ إليه في وصف الحديث للهدى والعلم، لأنّ عناصره التمثيليّة تستجيب له دون تكلّف ولا تعسُّفٍ في التأويل.

ولهذا فقصرُ معنى استنبط على معنى الاستخراج فحسب يضيّق الأفق الدلالي لهذه اللفظة، بل لابد من ضميمة إلى هذا المعنى، فقول الطبري: "وكلُّ مستخرج شيئاً كان مسترًا عن العيون أو عن معارف القلوب، فهو مستنبط"(٣)، مراعى فيه الاستخراج من الباطن إلى الظاهر، وربطه باستخراج الماء مهم للغاية حتى لا تذهب دلالة السخاء والاتساع للمفهوم، ولذلك ذكر الطبري في عقب هذا الكلام الأصل

(١) تحليل النص الفقهي، ١/ ٤٦.

(٢) سبل استنباط المعاني من القرآن والسنة ،ص ٣٢ .

(٣) جامع البيان، الطبري، ٨/ ٥٧١ ، وينظر: مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبّر والمفسّر، ص ١٥٩.

المعجمي للكلمة، حين قال: "يقال: استنبطت الركيّة: إذا استخرجتَ ماءها"[(١)].

وتجريد مفهوم الاستنباط من عنصر مهم، هو عنصر الماء، يفقده ثراءه الدلالي، فقول الصغاني: "وكل شيء أظهرته بعد خفائه: فقد أنبطته واستنبطته"[(٢)]، يفتقر إلى ربطه بنوع المستخرَج.

وقد أورد د.مساعد الطيار في معنى الاستنباط قوله: "تدور مادة "نبط" على أصلٍ واحد، وهو استخراج شيء"[(٣)]، مستندًا في ذلك على معجمي مقاييس اللغة والعباب الزاخر للصغاني، وهذا الإيراد وإن كان يلتفت إلى أصل معنى الاستنباط وهو الاستخراج، إلا أنّ تجريد المعنى من حمولاته الأخرى وعناصره المكملة لمعناه تضرُّ بدلالته الواسعة وقد تحيله إلى معنى ضيّق قد يُفهَمُ منه الاستخراج دون اعتبار للمادة المستخرَجة.

ولهذا فقصرُ معنى الاستنباط على الاستخراج وربط ذلك في العلم والفقه باستخراج الفقه الباطن، كما عند الصغاني، قد يلتبس بالمعنى العام للفظ استخرج، أيًّا كان هذا الشيء المستخرَج، أما الاستنباط فهو من نبط، ودلالة نبط في المعجم متعيّنةٌ على استخراج الماء، ولهذا ذكر ابن جرير أنّ معنى "النَّبَط الماء المستنبط من الأرض"[(٤)] وأعقبه بشاهد شعريّ يعزّز هذا المعنى، هو قول الشاعر:

"قَريبٌ ثَرَاه ما ينالُ عدوَّه لَهُ نَبَطٌ آبي الهوَانِ قَطُوبُ"[(٥)].

ولا ريب أنّ عدم مراعاة هذا الاعتبار ينعكسُ على سعة مفهوم الاستنباط ومن ثَمّ حصره على معانٍ محدودة ضمن إطار النص الواحد دون أن يكون للاستفادة من النصوص الأخرى وجمع دلالاتها وسياقاتها، أثرٌ في استخراج المعاني، وهو معنى يأتي

(١) جامع البيان، الطبري، ٨/ ٥٧١ .

(٢) العباب الزاخر و اللباب الفاخر، الصغاني،(حرف الطاء: ٢٠٧).

(٣) مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبّر والمفسّر، ص ١٥٩.

(٤) جامع البيان، ٧/ ٢٥٥

(٥) المرجع السابق.

بالضدّ لما هو مقرَّرٌ ومتداول حسب هذا المفهوم، إذ الاستنباط على أنواع: استنباط من النصّ الظاهر، واستنباط من نصٍّ غير ظاهر، واستنباط من ربط آيتين ببعضهما، واستنباط بإعمال مفهوم المخالفة(١)، وكذلك يدخل ضمن الاستنباط ما يسمّى بالتفسير الإشاري إذا تحققت ضوابطه التي ذكرها ابن القيّم وهي: "ألا يناقض معنى الآية، وأن يكون معنى صحيحًا في نفسه، وأن يكون في اللفظ إشعار به، وأن يكون بينه وبين الآية ارتباطٌ وتلازم، فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة كان استنباطًا حسنًا"(٢)، ووصف ابن القيم هذا الإجراء في استخراج المعنى من مجموع السياقات بالاستنباط الحسن أمرٌ في غاية الأهمية في هذا السياق.

وفي كلّ الأحوال فإنَّ الاستنباط لا يصحُّ إطلاقه إلا حيث يكون جهدٌ ومثابرة وتأمّل واجتهاد؛ إذ "لا يكون استنباط الماء بغير اجتهاد وفراسة، وكذلك استنباط العلم، وكلما بالغ المرء في التوغّل في أدبار الأرض كان الماء أعذب وأنقى، وكذلك العلم، ومن ثمّ كانت الدعوة إلى تدبّر الذكر الحكيم بكل ما تحمله وتثيره هذه الكلمة من دلالات لا تخفي وشيجة القربى بين ما يستنبط من الأرض وما يستنبط من الكتاب والسنّة"(٣).

وعليه، كما يرى الدكتور محمود توفيق، فإنَّ "المعنى المستنبَط والمتّخذ إليه سبلا عدّة هو ذلك المعنى المكنون في رحم الخطاب، لايتأتّى بلوغه إلا بمجاهدة ومثابرة وتيقّظ ومراجعة وتفتيش، وكلّ ما يؤدّي إليه حسن الطلب وفق أصوله وضوابطه

(١) يرجع إلى أنواع الاستنباط و تفصيلها مع شواهد وأمثلة تطبيقية في كتاب (مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبّر والمفسّر ، الطيار ،ص ١٦٧ إلى ص ١٧٦) .

(٢) التبيان في أيمان القرآن، ابن القيم، ص ١٢٤، وينظر للاستزادة في موضوع التفسير الإشاري وعلاقته بالاستنباط، كتاب (مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبّر والمفسّر) الآنف الذكر ،ص ١٧٦ إلى ١٨٢ .

(٣) سبل استنباط المعاني من القرآن والسنّة ،ص٣٥.

هو داخلٌ في المعنى المستنبَط"[١].

ولاشكّ أنّ هذا التصوّر مختلف تمامًا عن حصر دلالة الاستنباط على ما يُسمّى بالمعنى القصدي، أو حتى علّة الحكم، وهو الفهم الذي جعل د. محمد العمري يرى أنّ ربط دلالة الاستنباط باستخراج الماء يقصره على الكشف (يعنى مجرّد مادّة مخبوءة دون التدخّل فيها)، بحسب تعبيره، و لذلك يذكر أنّ الفقهاء "حين يضطرّون إلى الحديث عن الاستنباط يعودون به إلى أصل الكلمة في اللغة (استخراج الماء) فيرجعونه بدوره إلى الكشف، ومؤدّى هذا الكلام أنه لا يوجد في النص الشرعي غير معنى واحد، وبذلك لا يحتمل غير قراءة واحدة، ومعنى هذا الكلام نفي الاختلاف واستبعاد الاجتهاد"[٢].

وهذه الدراسة معنيّةٌ بالوقوف على ما يرتبط بمفهوم الاستنباط من مستويات المعاني ومراعاة التفريق بين المعنى في سياق التكليف والمعنى في سياق التثقيف، وحسب هذا النظر، فيما أعتقد، أن يوسّع دلالة الاستنباط لتشمل الأفق التأويلي المنضبط في حدود اللغة والسياق، وهو ما أشار إليه الزركشي فيما نقل عن أبي القاسم بن حبيب النيسابوري والبغوي والكواشي وغيرهم بقوله: "التأويل صرف الآية إلى معنى موافقٍ لما قبلها وما بعدها، تحتمله الآية، غير مخالف للكتاب والسنّة من طريق الاستنباط"[٣]، وهذا يعني أنّ الاستنباط هو الطريق الأكثر انضباطًا إلى التأويل، بما يعزّز الغاية من الدراسة في هذا البحث.

المطلب الثالث: المعنى بين التكليف والتثقيف.

يقال في اللغة عنيت الشيء أي قصدته، وأصله عنت الأرض بالنبات، قال الراغب: "المعنى إظهار ما تضمّنه اللفظ من قولهم: عنت الأرض بالنبات، أي

(١) سبل استنباط المعاني من القرآن والسنّة ،ص ٤٣.

(٢) بلاغة الخطاب الديني، إعداد وتنسيق محمد مشبال، ص ٤٦.

(٣) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٢/ ٩٨.

أظهرته حسنًا"[(١)]، ووجه الارتباط بينه وبين ما عنته الأرض ظاهرٌ في تعميق دلالة الاستنباط وارتباطها بالمعاني لما في ذلك من تشاكل بين عناصر المعنى المعجمي: الماء والأرض والنبات وفعل الاستخراج المتعلّق بهذه العناصر مجتمعة.

أمّا المضمون فهو ما يتضمّنه الخطاب من المعاني، والمحتوى قريب منه، إذ هو ما يحوي الخطاب، والتضمّن والاحتواء دالان على مكان ما، يقرّان فيه. قال الفارابي: "ومعنى الشيء ومعناته واحد، ومعناه وفحواه ومقتضاه ومضمونه كلّه هو ما يدلّ عليه اللفظ"[(٢)] ولذلك فالمضمون والمحتوى أقلّ رحابة من مفهوم المعنى الذي يظنّ للوهلة الأولى أنّه يحصر الدلالة فيما عناه المتكلّم من ظاهر الخطاب دون ما يوحي به ويدلّ عليه لاقتصار الفهم على ما تتوجّه له العناية بمعنى القصد.

أمّا الدلالة فهي ما ينتج من تفاعل الدال والمدلول وما بينهما من علاقات، وهي هنا مفهوم واسع يصل ما بين ثنائية اللفظ والمعنى، والشكل والمضمون، والخطاب والمحتوى، وفي هذا السياق يرى بعض أهل العلم أن المدلول أوسع من المعنى، وأنّ المصطلحات مثل (المعنى، المفهوم، المسمّى) بينها "فروق اعتبارية وكلّها تندرج تحت مصطلح المدلول، فهو أعمّ من المعنى، ومن المفهوم، ومن المسمّى"[(٣)]، غير أنّ هذا التفريق ليس هو المعهود الشائع بين أهل العلم، لشيوع كلمة (المعنى) وحضورها عند سماع كلمة (لفظ) ولارتباط ذلك بالأصل الاشتقاقي لكلمة (معنى) في لسان العربية[(٤)].

وغالبًا ما يقرن الاستنباط بالمعنى دون غيره في لغة أهل العلم وتعريفاتهم، قال البغوي: "من العلم ما يدرك بالتلاوة والرواية وهو النصّ، ومنه ما يدرك

(١) تاج العروس للزبيدي، ٢/ ٣٥٨.
(٢) المرجع السابق.
(٣) دلالة الألفاظ على المعاني عند الأصوليين، ص٣٨.
(٤) ينظر: المرجع السابق، ص٣٨، ٣٩.

بالاستنباط وهو: القياس على المعاني المودعة في النصوص"[١]، ووصف ابن عاشور علم التفسير بأنّه: "تفسير ألفاظ أو استنباط معان"[٢]، وقال: "وموضوع التفسير: ألفاظ القرآن من حيث البحث عن معانيه، وما يستنبط منه"[٣].

ويظهر أنّ هذا الارتباط بين المعنى ومفهوم الاستنباط يحقّق مكونات الحقل المعجمي لارتباط ذلك بدلالة استنباط الماء من الأرض وما يؤول إليه من إخراج النبات ونموّه وما يتبع ذلك من حياة للأرض والناس في مقابل ما يحدث من أثر للعلم في إقامة شؤون الناس وحياتهم على الوجه الأكمل، وقد لاحظ د.محمد أبو موسى هذا المعنى السخيّ الرَّحب في هذا الارتباط فربطه بعقول العلماء الأفذاذ، "وهي تنبت المعرفة وتتعهدها وتسقيها"[٤] كما ربط ذلك بميلاد الفكرة وطراوتها وكيف شقّ العالم الأرض عنها شقّا"[٥]، كما لا يغيب عنا في هذا السياق ارتباط دلالة المعنى معجميا بما يستنبط من الأرض، من قولهم: "عنت الأرض بالنبات أي أخرجته"[٦]، ويقال: "عنت القربة إذا لم تحفظ الماء بل أظهرته"[٧]، وفي هذا السياق ذكر أبو حيان التوحيدي الفروق بين المعنى والتفسير والتأويل مع الإشارة إلى أنها متقاربة في دلالاتها[٨].

وعلى ذلك يمكن تقسيم المعنى إلى قسمين حسب السياق الذي يحددهما، كما يرى محمود توفيق إذ ذهب إلى أنّ المعنى إمّا أن يكون عقليًّا قصديًا أو نفسيّا إحسانيًّا، وأنّ العقلي القصدي مراد في سياق التكليف، في حين أنّ المعنى النفسيّ الإحساني

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، ٢/ ٢٥٥.
(٢) التحرير والتنوير، ١/ ١٢.
(٣) المرجع السابق.
(٤) شرح أحاديث من صحيح البخاري، ص ١٨٩
(٥) المرجع السابق.
(٦) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس مادة (عنى)
(٧) المرجع السابق.
(٨) ينظر: ثمرات العلوم، أبو حيان التوحيدي، ص ٤٦.

متعلّقٌ بسياق التثقيف [١]، وعليه يكون السياق على نوعين:

١- سياق تكليف: وفي هذا يكون المعنى قصديًّا وآلة الوصول إليه علم الأصول وعلم الفقه، مع مراعاة أن القصدية هنا ليس المراد بها المعنى الواحد، وإنما المراد المعنى المفهوم من الخطاب مباشرة أو غير مباشرة ويتعلّق به حكم شرعي في عبادة أو معاملة، وهو محلّ استنباط الفقهاء وعلماء الأصول، فما وصل إليه الفقيه أو الأصوليّ بالاجتهاد فهو مناط التكليف والعمل.

٢- سياق تثقيف: وفيه يكون المعنى إحسانيًّا وهو سياق يستند على التدبّر ويكون بحسب تلقّي كل عقل وبصيرة، لأنّ المعنى الإحساني لا يتناهى، فهو يفيض مع كثرة التأمّل والتدبّر، ولا يتعلّق به تكليف شرعي، وإنما هو متاحٌ لتدبّر لطائف البيان القرآني من خصائص تراكيبه ولطائفه، وهو موضع نظر البلاغيين في سياق بلاغة القرآن الكريم.

ومن هنا يمكن القول: إنّ المعنى الإحساني "معنى مكنون في باطن العبارة، وهو ذو درجات في اكتناهه وبعده من ظاهر العبارة أو من ظهر العبارة ومتنها وسطحها، وهذا هو الذي يفتقر المرء فيه إلى قدر من مهارة الاستنباط"[٢].

وعلى هذا فنقل مفهوم الاستنباط إلى حقل البلاغة مشروط بهذا التصوّر للتفريق بين استنباط الفقهاء وعلماء الأصول الذي يتعلّق أكثره بسياق التكليف، واستنباط البلاغيين الذي يتعلّق بسياق التثقيف.

وفي هذا السياق يرى محمد أبو موسى أنّ البلاغيين معنيّون باستنباط المعاني اللطيفة الدقيقة فهي موضع نظرهم وتدبّرهم في البيان الإنساني، حيث يؤكّد أنَّ "المعاني المستنبطة بالوسائل البلاغية ليست ذات نغمة عالية، وإنما تهمس بصوت خفيض تسمعها الأذن التي تعرف كيف تسمع همهمة الأرواح واختلاجة القلب

(١) ينظر: دلالة الألفاظ على المعاني عند الأصوليين، ٤٢-٤٤.

(٢) سبل استنباط المعاني من القرآن والسنة، ص ٣١.

وحفيف الفكر"[١]، وهو أمرٌ يمتدّ إلى البيان القرآني الذي هو أبعد غورًا وأعمق ورحابته تتطلّب احتشادًا أعمق للوصول إلى بعض أسراره المخبوءة في بواطن النصوص عمقًا وامتدادًا.

على هذا التصوّر يمكن الوصول إلى أنّ دلالة الاستنباط هي: "استخراج دقائق المعاني وحقائق الحكمة من آيات الله وسنّة نبيه ﷺ بطريق صحيح، لموافقته أصول الوحي والعقل واللسان"[٢].

فقد بان مما سبق ومن هذه الدلالة تحديدًا أنّ مفهوم الاستنباط مفهوم واسع يشمل المعاني الأصلية التكليفية والمعاني الإضافية الإحسانية، وهو ما تناغم مع ما قرّره ابن القيم في أنّ "دلالة النصوص نوعان: حقيقيةٌ وإضافيّة، فالحقيقية تابعة لقصد المتكلّم وإرادته، وهذه الدلالة لا تختلف، والإضافية تابعةٌ لفهم السامع وإدراكه وجودة فكره وقريحته وصفاء ذهنه ومعرفته بالألفاظ ومراتبها، وهذه الدلالة تختلف اختلافًا متباينًا بحسب تباين السامعين في ذلك"[٣].

يقودنا ذلك إلى استثمار هذا المفهوم الشرعي ونقله إلى الدراسة الأدبية لإثرائها بما هو من صميم البيان، لأنّ هذا المفهوم عُنيَ به من قبل الفقهاء الذين "وضعوا ضوابط للفهم والاستنباط وحرّروها فلا تدع شيئًا في الكلام إلا استخرجته، ولا تستخرج من الكلام إلا ما يحتمله"[٤]، ولهذا يرى محمد أبو موسى أنَّ "هذه الضوابط من أصحّ وأرقى ما يجب أن يدرس في باب تحليل البيان، وتفسيره، وتأويله، وتذوّقه شعرًا كان أو نثرًا، وكان من غير المعقول ألا تنتفع الدراسة البلاغية والنقدية بهذا الباب الحافل"[٥]، كما يخلص إلى أنّ "كلَّ هذا يمكن أن يدخل في

(١) التصوير البياني، محمد أبو موسى، ص ٤٧.
(٢) سبل استنباط المعاني من القرآن والسنّة ،ص٣٤.
(٣) إعلام الموقعين عن ربّ العالمين، ابن قيّم الجوزية، ١ / ٣٥٠.
(٤) مراجعات في أصول الدرس البلاغي، محمد أبو موسى، ص٣٠٩.
(٥) مراجعات في أصول الدرس البلاغي، محمد أبو موسى، ص٣٠٩.

دراسة تحليل الشعر والأدب"[١]، كما أنّه "يفتح هذا الباب المغلق بين الدراسات القرآنية والدراسات الأدبية"[٢].

ولاريب أنّ فتح هذا الباب مفضٍ إلى تحليل البيان تحليلا لغويّا من داخل النص سواء كان نثرا أو شعرًا والنظر في دلالات الألفاظ والتراكيب والصور نظرًا عميقا بدءًا من مكوناتها المعجمية التي هي أساس البناء الدلالي، ومكوناتها الثقافية التي يحيل إليها الاستعمال، كما في الأمثال السائرة والاقتباس والتضمين، إضافةً إلى لطائف التراكيب الخفيّة والعلاقات بين الصور التركيبية والتمثيلية، مع ربط ذلك كلّه بالسياق القصدي المرتبط بالمتكلّم (المبدع)، شاعرًا كان أو ناثرا، وبالسياق التثقيفي الذي يكون فيه المعنى إدراكيًّا نفسيًّا يعود إلى المتلقّي واستعداده الثقافي وما هو مزوّد به من خبرات قرائية ومعرفية.

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق، ص٣١٦.

المبحث الثاني: (أفق التأويل)

ورد التأويل بمفهومه الاصطلاحي دالاً على ثلاثة معان:

١– حقيقة ما يؤول إليه الكلام وإن وافق ظاهره.

٢– التفسير.

٣– صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل منفصل يقترن بذلك [١].

وقد ذكر عبد الرحمن بو درع أنّ الأوّل منه هو الوارد في الكتاب والسنة، والثاني هو اصطلاح كثير من المفسّرين، والثالث ورد في عرف المتفقّهة والمتكلّمة والمتفلسفة والمتصوّفة [٢].

وثمة فرق بين هذه الاتجاهات التي جمعها بو درع، فالمتفلسفة والمتكلّمة يختلفون عن المتفقّهة والمتصوّفة في الإجراء التأويلي، إذ يستند المتصوّفة في التأويل على عصمة المؤوّل، أما المتفقّهة فيستندون على الخطاب وما يحتمله، وأمّا المتكلّمة والمتفلسفة فسيتندون على القواعد العقليّة [٣].

ومن طريق المتكلّمين والفلاسفة جاءت فكرة التأويل العقلي، المبنيّ على القواعد العقلية، وهذا النوع من التأويل كما يرى مساعد الطيّار،"لا حدَّ له؛ لأنَّ معتمده العقل، والعقول تختلف في مذاهبها وطريقتها في فهم نصوص الشرع، فما لم يكن سائغا تأويله عند قوم هو عند غيرهم صالح لأن يؤوّل، لأنّه جار على القواعد العقلية التي رفضت التأويل في هذا الموضع، ولا تكاد تجد ضابطًا يبيّن سبب الرفض

(١) ينظر تفصيل هذه المعاني في بحث بعنوان (التأويل وموقع البيان من بلاغة الخطاب القرآني) عبد الرحمن بو درع ، ص ٧٨، ٧٩ ، ضمن سلسلة مباحث في كتاب: بلاغة الخطاب الديني، ص ٧٨، ٧٩.

(٢) ينظر المرجع السابق.

(٣) ينظر في هذا السياق: (العقائدية وتفسير النص القرآني، ياسر المطرفي، مركز نماء للبحوث والدراسات، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م.).

سوى احتمالات لا تقوم على علم"[١].

فيظهر مما سبق أنّ التأويل إمّا أن يراد به إرجاع الشيء إلى حقيقته أو يراد به التفسير، وهذا يتّسق مع مفهوم الاستنباط ويتّسع به، وإمّا أن يراد به صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليلٍ منفصل يقترن بذلك، فهذا هو التأويل في عرف المتأخّرين، ويرى ابن تيمية أنّه لم يرد بهذا المفهوم "في التنزيل، بل ولا في عرف المتقدّمين من مفسّري القرآن، فإنَّ أولئك كان لفظ التأويل عندهم بمعنى التفسير، ومثل هذا التأويل يعلمه من يعلم تفسير القرآن"[٢].

وعند إنعام النظر في استعمال البيان القرآني لهذه اللفظة يتضح أنّها من الأول، أي الرجوع إلى حقيقة الشيء، وهي بذلك تختلف عن التفسير، لأنّ التفسير إيضاح وبيان، أمّا التأويل فإرجاع الشيء إلى حقيقته، وهذه الحقيقة قد تحتاج إلى صرف اللفظ عن ظاهره بقرينة وقد لا تحتاج إلى ذلك، بل إلى ملكة استنباطية تلحظ المعنى من مجموع كلّي، ومن ذلك تأوُّل ابن عبّاس ﷺ لسورة النصر بوفاته ﷺ[٣]، وهو ما يتسق مع دعاء النبي ﷺ له: «اللهمّ فقِّهْهُ في الدّين وعلّمه التأويل»[٤].

والذي يظهر أنّ التأويل بمفهومه الثالث، شأنه شأن المجاز، لما غلب على متأوله أسماء الله وصفاته صار فيما بعد منهجًا مستقلا في فهم النصوص، ومن ثم انقسم الموقف من البيان القرآني إلى من أخذوا بظاهر النصوص في هذا الباب وهم أهل الظاهر ومن تأوّلوها وهم أهل التأويل.

بناء على ذلك يظهر الفرق بين التأويل بمفهومه القريب من الاستنباط والتأويل بمفهومه الكلي، وهو ذاته الفرق بين أهل السنة الذين يستندون على الاستنباط كمفهوم كلّي يأتي التأويل ضمن إجراءاته، وأهل التأويل من المتكلّمة والمتفلسفة

(١) مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبّر والمفسّر، ص١٢٢.

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، ٥/ ٣٨٢

(٣) ورد الحديث في صحيح البخاري، ٨/ ٦٠٦ (٤٩٧٠).

(٤) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٣١٤ (٢٨٨١).

والمتصوّفة الذين يجعلون التأويل أساسًا كليّا في فهم النصوص.

ويظهر أنّ هذا التصور هو ما يتّسق مع فهم ابن القيم للاستنباط وجعله قريبًا من التأويل بمفهومه الواسع الذي يتجاوز حدود لغة النصّ إلى أكثر من إجراء، وهو فيما يظهر تأصيل يفتح أفق الاستنباط من جهة ويقارب بينه وبين التأويل من جهة ثانية، مع مراعاة ضوابط منهجية، بحيث يدخل ضمنه حتى التفسير الإشاري بشرط: "ألا يناقض معنى الآية، وأن يكون معنى صحيحًا في نفسه، وأن يكون في اللفظ إشعار به، وأن يكون بينه وبين الآية ارتباطٌ وتلازم، فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة كان استنباطًا حسنًا"(١).

كما أنّ هذا التصوّر، الذي يضع للتأويل حدودًا وأفقًا منهجيا يتحرك من خلاله، له مرجعية أصيلة في نصوص القرآن والسنّة، دون أن يفتح باب التأويل كيفما اتّفق وبغير ضوابط وحدود تميّز بين صحيح التأويل وسقيمه، وضابط ذلك ما تحتمله لغة النص في السياق مع وجود القرينة التي يصحّ معها صرف اللفظ عن ظاهره أو حتى إضافة معنى آخر إلى معناه الظاهر، ففي قوله تعالى: ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ﴾[الروم: ١٩]، يذكر الشريف الجرجاني في معناها ما نصّه: "إن أراد به إخراج الطير من البيضة كان تفسيرًا، وإن أراد إخراج المؤمن من الكافر، أو العالم من الجاهل، كان تأويلا"(٢).

هذا التأويل الذي أشار إليه الجرجاني في التعريفات ورد في مدونة السنة النبوية في باب الرؤيا، حيث تظهر لغة الرؤيا في صورة مجازية يتم الكشف عنها من خلال التأويل، أي تأويل اللفظ من ظاهره إلى ما يراد به، كتأويله عليه الصلاة والسلام اللبن بالعلم، والقميص بالدّين، والروضة بالإسلام، إلى آخر ما ورد في السنة النبوية

(١) التبيان في أيمان القرآن، ابن القيم، ص ١٢٤.

(٢) معجم التعريفات، الجرجاني، ص٤٦.

من رموز الرؤيا [١]، ولهذا يمكن ضبط التأويل بحدود وشروط منهجية قريبة مما ذكره ابن القيم فيما يخصّ مفهوم الاستنباط، وهذا ما يجعل محاكمة التأويل والاستنباط وفق هذه الشروط "تتوافق مع المنقول من تفسيرات الصحابة دون توافقها مع التفاسير الباطنية المنقولة عن الشيعة أو الإسماعيلية أو المتصوّفة"[٢].

إنّ هذه الضوابط تجعل الوصول إلى الباطن محكومًا بالظاهر"عن طريق دلالة التمثيل، أو دلالة الإيحاء، أو دلالات اللغة، أو المقام أو السياق بحيث يظهر للمطّلع عليه تناسبٌ بين الظاهر والباطن الذي آل إليه بخلاف التأويل عند الباطنية الذي لا يتوصّل إليه من خلال الظاهر، بل من خلال الإمام المعصوم أو الوليّ المكاشف، ولذلك لا تناسب بين الظاهر والباطن الذي آل إليه ألبتة"[٣].

وفقًا لهذا التصور لا يبدو تباعد ولا تعارض بين الاستنباط في استفراغه الجهد والنظر والجمع بين النصوص للوصول إلى المعنى، والتأويل في ردّه الظاهر إلى معان مجازية يحتملها السياق وتشهد لها القرائن المقالية والمقامية.

(١) ينظر: تأويل النص،دراسة في العلاقات المشتركة بين تأويل الرؤيا في الصحيحين و قراءة النص الشعري، سعود الصاعدي، ص ١٨٥.

(٢) العقائدية وتفسير النص القرآني، ياسر المطرفي، ص ٢٧٥.

(٣) المرجع السابق ،ص ٢٧٥، ٢٧٦ .

المبحث الثالث: (سياق البئر ودلالاته التصوّريّة)

١– مستويات الدلالة:

إنّ الهدف من دراسة العناصر التي وردت في مفهوم الاستنباط ودلالته المعجمية إنما هو الوصل بين الاستنباط والتأويل في سياق كلّي يسمح بسعة الدلالة من جهة، وبالجمع بين المفهومين من جهة ثانية، لهذا كانت البئر هي العنصر المشترك والرافد الثريّ في هذا السياق للكشف عن التعالق بين الاستنباط والتأويل ومدى ارتباطهما، سواء من جهة المعنى التكليفي الأصليّ، أو المعنى التثقيفيّ الإضافي.

وحتى تتأسّس دلالة للبئر تكون مرجعيّة للسياق العام الذي سيتحرّك فيه تحليل السياق التصوّري، تجدر الإشارة إلى أن الدراسة ستعتمد في البدء منطلقًا يكون رابطًا لهذه الدلالات في رؤية شاملة، وسيكون هذا المنطلق مستقى من التمثيل النبوي في حديث: «إنّ مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضًا»[(١)]؛ والسبب في ذلك هو أنّ هذا الحديث يعتبر تأسيسيًا بالنسبة للدلالة الاستنباطية والتأويلية معا لبيان الوحي، بشطريه: القرآن والسنة، ففيه عناصر متعددة تربط بين الدلالات، سواء كانت معجمية لغوية أو تمثيلية أو إشاريّة، وهي دلالات يتشكّل من خلالها النسق التصوّري الشامل، كما سنوضّح في المستويات الآتية:

أ– المستوى المعجمي:

سبق الربط بين الاستنباط واستخراج الماء في الكشف عن الدلالة اللغوية لمفهوم الاستنباط[(٢)]، وفي هذا الحديث ما يعزّز هذه الدلالة من جهة أنّه ربط بين استخراج الماء من باطن الأرض واستخراج مسائل العلم.

وتأتي دلالة المعجم هنا باعتبارها نواة للمعنى الذي تتشعّب منه المعاني الأخرى،

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، ١٥/ ٤٦، وفتح الباري ١/ ١٦٠.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة (٥/ ٣٨١، مادة: نبط)، وتفسير الطبري، ٨/ ٥٧١، ومفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبّر والمفسّر، مساعد الطيار، ص ١٥٩ وما بعدها.

فالاستخراج من باطن الأرض، هو أساس الدلالة ومنطلقها إلى لوازمها من الدلالات التي تجعل هذا المفهوم هو الأحقّ بالحقل العلمي والمعرفي لما فيه من سخاء دلالي يأتي في مقابل سخاء العلم وبركته وأثره في النفوس.

وأساس الاصطلاح العلمي لمفردة الاستنباط جاء من المعجم القرآني، فالفعل المضارع (يستنبط) مفردة قرآنية، كما تُعدّ من الفرائد القرآنية لتي لم ترد إلا مرّة واحدة في البيان القرآني، في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾[النساء: ٨٣]، فمن الملامح البلاغيّة في هذا الاستعمال القرآني "أنّه كما يحتاج استنباط الماء من البئر إلى جهد عضليّ وقوّة بدنية وتحيّن لأوقات صفاء الماء لاستخراجه رائقًا نظيفًا، فكذلك الاستنباط العقلي"(١)، كما أنّ البنية الصوتية للفعل توحي بهذا الجهد، حيث "يحتاج نطقه إلى وقت طويل وجهد صوتيّ بسبب تباعد حروفه وما فيه من مدّ بالواو واتصال بالهاء في آخره، وذلك يوحي أيضًا بذلك الجهد وبتلك المشقّة في استنباط الرأي الصحيح المفيد، ولعلّ تلك اللمحات البلاغية تفسّر لنا جانبًا من السرّ في تفرّد الفعل بأداء تلك المعاني كما تفرّد في القرآن كلّه؛ لأنّ المقام لم يتكرّر"(٢).

وممّا يعزّز ربط الاستنباط بعنصر الماء في معناه المعجميّ أنّه لا يطلق هذا الفعل إلا على الحفر العميق الذي ينتج الماء، خلافا للأفعال الأخرى نحو جَفَ وامتعَقَ واعتَمَقَ، فهذه الأفعال "لا تدلُّ بالضرورة على بلوغ ينبوع البئر من المياه، أمّا إذا حفرها حتى يبلغ الماء في قعرها وعمقها قيل: أنبطها، وذلك الماء المبلوغ نَبَطٌ، والفعل الأصلي: نَبَطَ الماء ينبِطُ وينبُطُ نبوطًا، إذا نبع، وقد يقال أيضًا للماء الذي ينبط من قعر البئر إذا حفرت نبيط، ومن هنا جاء ما يُعرَفُ بالاستنباط بمعنى الاستخراج الذي

(١) بلاغة الفرائد الفذّة في القرآن الكريم، ص ٢٤.

(٢) المرجع السابق.

غدا إطلاقًا عامًّا على استنباط الأشياء بالعلل أو القياس أو العقل ونحو ذلك"[(١)].

وهذا النظر إلى الجذر اللغوي لمادة (استنبط) هو ما يوسّع الدلالة ويمنحها أفقا أوسع في التمثيل والتأويل.

ب– المستوى التمثيلي:

يمكن عدّ الصورة التمثيلية أساسًا في بناء مفهوم الاستنباط في الحقل العلمي وجعله أوسع من مجرد الاستخراج، بل يتبع ذلك الاستثمار والنماء والأثر الممتد، لأنّ التمثيل في هذا الحديث مركّب من حالتين:

الحالة الأولى: حالة الهدى والعلم، وهي حالة مرتبطة بالوحي في هدايته وبركته.

الحالة الثانية: حالة الغيث، وهي حالة كاشفة للأثر والسخاء الذي يحدث عندما تلتقي السماء بالأرض فتزدهر الأرض بالخير والنماء.

ج– المستوى الإشاري:

ممّا يتّصل بالدلالة الإشارية لمفهوم (الاستنباط) انتظامُ فعله (يستنبط) ضمن الفرائد القرآنية [(٢)] وهو فعل يتعلّق بالفهم وكشف المخبوء والمستور عن الأنظار والأفهام، وفي سياق هذه الفرائد نجد ثلاث فرائد قرآنية تشكّل سياقًا إشاريًّا للفهم والاستنباط في قصة سليمان عليه السلام، هي (ففهّمناها) و(الهدهد) و(الخَبء)، وكلّها تدور حول معنى من معاني الاستنباط، على الحقيقة والاستعارة، نوردها فيما يلي على الترتيب:

أ- وردت الفريدة الأولى في قوله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ﴾[الأنبياء: ٧٩]،"في سياق امتنان الله على عبده سليمان بتفهيمه الفصل في قضية

(١) مصطلحات الآبار والمياه في اللغة العربية، عبد الجليل مرتاض، ص٢٣٦.

(٢) الفرائد القرآنية: جمع فريدة، وهي التي لم ترد في القرآن إلا مرّة واحدة، وسُمّيت بذلك لأنها كالفرائد في العقد، فهي كالجوهرة النفيسة كأنّها مفردة في نوعها، ينظر: لسان العرب، مادة (فرد)، وينظر: (الأسرار البلاغية في الفرائد القرآنية، ص ١٣).

وقع فيها نزاع بين رجلين، وقد حكم فيها داود عليه السلام بحكم رآه صائبا، وجاء حكم سليمان في القضيّة أصوب"[١].

ب- أمّا الفريدة الثانية (الهدهد ففي قوله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾[النمل: ٢٠]، والهدهد طائرٌ "يرى الماء عن بُعد، يُحسّ به في باطن الأرض فإذا رفرف على موضع عُلِمَ أنّ به ماء، وهذا سبب اتّخاذه في جند سليمان"[٢].

ج- وأمّا الفريدة الثالثة (الخَبء) فوردت أيضًا في سورة النمل، في قوله تعالى: ﴿أَلَّا يَسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾[النمل: ٢٥]، وهذه الفريدة ذات صلة بالهدهد، فقد جاءت على لسانه "وهو يحكي لسليمان عليه السلام ما أحاط به دونه، ويستنكر مسلك هؤلاء في عبادة غير الله عز وجل"[٣]، والخبء هو "كلّ غائب وقيل: كلّ مدّخر مستور، وقيل: المراد السرّ، وقيل: خبء السماء المطر، وخبء الأرض النبات"[٤].

فهذا السياق القرآني المنتظم من قصّة سليمان، عليه السلام، سياق استنباطي يعزز المستوى الإشاري في السياق التصوّري، ولذلك جاءت هذه الفرائد الثلاث في سياق قصة النبي الحكيم، سليمان عليه السلام، وأشار (الهدهد) إلى (الخَبء) فعبّر بالفريدة "التي هي ألصق صلة بمهمته، والتي يتفوّق فيها على غيره"[٥]، فالهدهد طائرٌ "أعطاه الله القدرة على كشف المخبوء المستور في باطن الأرض فهو يظلّ يحفر بمنقاره حتى يصل إلى ما اشتمّه، وهذه صفة لصيقة به عُرِفَت عنه قديمًا وحديثاً"[٦].

---

(١) الأسرار البلاغية في الفرائد القرآنيّة، عبد الله عبد الغني سرحان، ص٢٠٠- ٢٠١.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٠٧، وينظر: تفسير التحرير والتنوير، ١٩/ ٢٤٥.

(٣) الأسرار البلاغية في الفرائد القرآنية، ص ٢٠٨.

(٤) عمدة الحفّاظ في تفسير أشرف الألفاظ، السمين الحلبي، ١/ ٥٥٦، ومفردات الراغب، للأصفهاني، ص ١٤١.

(٥) الأسرار البلاغية في الفرائد القرآنيّة، ص ٢٠٩.

(٦) المرجع السابق، ص ٢٠٩.

وقد أشار الألوسي إلى هذا بقوله: "واختيار هذا الوصف لما أنّه أوفق بالقصة حيث تضمّنت ما هو أشبه بإخراج الخبء، وهو إظهار أمر بلقيس وما يتعلّق به، وعلى هذا القياس اختيار ما ذُكِرَ بعد من صفاته ﷻ، وقيل إنّ تخصيص هذا الوصف (الخَبء) بالذكر لما أنّ الهدهد أرسخ في معرفته، والإحاطة بأحكامه بمشاهدة آثاره التي من جملتها ما أودعه الله تعالى في نفسه من القدرة على معرفة الماء تحت الأرض"[(١)].

فمما سبق يبدو التشاكل والتلاؤم والاتساق في البيان القرآني ما يجعل الأنساق الدلالية والاستعارية والإشارية تنتظم في نظام واحد يتيح النظر في المعاقد الكبرى للسياق التصوّري.

٢– معاقد السياق التصوري:

ممّا تُعنى به هذه الدراسة أنّها تنحو منحى كليًّا في النظر والتأويل، وتشتغل على السياقات الكلية، وهو النظر الذي يكون قرينًا للنظم والتناسب، فيما سمّاه عبد الحميد الفراهي بالنظام، فالنظم يبدأ بالجملة والتناسب يمتدّ إلى الجمل، أمّا النظام "فشيءٌ زائد على المناسبة وترتيب الأجزاء"[(٢)]، وهو، بهذا المعنى يرجع إلى "الوحدانية"[(٣)] التي تجمع المعاني المتفرّقة في رباط واحد، وإن كانت من أماكن مختلفة من البيان، وهو أيضًا ما وصفه الباحث الياباني بـ"الكلّ الموحّد"[(٤)]، حيث يرى "أنّ المفاهيم لا توجد منعزلة وحدها، بل تكون دائمًا منظّمة إلى أقصى حدّ داخل نظام أو أنظمة"[(٥)]، ويؤكّد على أنّ ما يحدث في السياق القرآني "هو أنّ القوّة المحوّلة

(١) نقلاً عن المرجع السابق، ص ٢٠٩، وينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي، ١٣/ ٤٦٨– ٤٦٩.

(٢) دلائل النظام، عبد الحميد الفراهي الهندي، ص٧٥.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ص٧٦.

(٤) الله والإنسان في القرآن، توشيهيكو إيزوتسو، ص٤٣.

(٥) المرجع السابق، ص ٤٣.

للنظام الكليّ تعمل على الكلمة بقوّة كبيرة حتى إنّ الأخيرة تكاد تنتهي إلى أن تفقد معناها المفهومي الأصلي كليًّا، وإذ يحدث هذا سيكون لدينا كلمة مختلفة، بتعبير آخر: إنّنا نشهد ميلاد كلمة جديدة"[(١)].

ويرى عبد الحميد الفراهي أنّ لكلّ سورة عمودًا يمكن الكشف عنه من تحديد معالم السورة، "ولا جامع لهذه المعالم، فإنّها تجلب الالتفات من جهات مختلفة: فبعضها من جهة اللغة، وبعضها من جهة الإعراب، وبعضها من جهة البلاغة، وبعضها من جهة التاريخ، وبعضها من جهة الفقه، وبعضها من جهة الحكمة، وهلمّ جرّا"[(٢)]، وهذا ما يعزّز النظر الكلّي في بيان الوحي، قرآنًا وسنّة، بغية الكشف عن النظام، بعد تجاوز مستوى النظم والمناسبة التي تعدّ جزءًا منه، وفي ذلك تعزيز لرأي عبد الحميد الفراهي مع استثماره في نظر أشمل وتأويل أوسع.

وبعد إنعام النظر في استعمال البئر في سياق كلّي يشمل السياق القرآني والسياق النبوي، بدا أنّ دلالات البئر في هذا السياق تدور ضمن معاقد كبرى يصحّ الانطلاق منها بوصفها حقولا أساسية يفضي بعضها إلى بعض في شبكة دلالية واحدة، هي شبكة النظام، سواء كان الطريق إلى ذلك الاستنباط أو التأويل، وذلك في سياق يوازي رحلة الإنسان في طريق الحياة مقتبسًا من الإدراك التصوّري للعربي في صحرائه، في حاجته للماء (الغيث) وعبوره المفازات إلى أن يصل إلى غايته (العاقبة)، وهو ما يعزّز السياق التصوّري لمفهوم الاستنباط وعلاقته بالاستعارة التصورية التي تفترض أن الحياة رحلة، والرحلة امتداد عبر طريق طويل يوازي طريق الأنبياء بدءًا بالرؤيا، ثم حاجة الناس إليهم بالسقيا، مع ما يتضمّن ذلك من عبور، إلى أن تصل هذه الرحلة إلى نهايتها وهي العاقبة.

فقد وردت البئر في سياق الرؤيا، والسقيا، والعبور، والخاتمة ، فعن نافع أنّ ابن

(١) الله والإنسان في القرآن، توشيهيكو إيزوتسو ، ص ٤٧.

(٢) دلائل النظام، ص ٨١.

عمر ﷺ حدثه قال: قال رسول الله ﷺ: «بينا أنا على بئر أنزع منها إذ جاء أبو بكر وعمر، فأخذ أبو بكر الدَّلو فنزع ذنوبا أو ذنوبين وفي نزعه ضعف، فغفر الله له، ثم أخذها عمر بن الخطاب من يد أبي بكر فاستحالت في يده غربا فلم أر عبقريًّا من الناس يفري فريه حتى أقام الناس بعَطَن»(١).

ومن هذا الحديث نستطيع الجمع بين دلالتي الاستنباط والتأويل، حيث يظهر الاستنباط فيما يشير إليه النزع، أي الاستخراج من داخل البئر، ويمكن النظر إلى حديث رؤيا اللبن «فأعطيت فضلي عمر» وهو ما يشير إلى علم عمر ﷺ وفقهه في المسائل التي يستنبطها ويرى فيها رأيه، أما التأويل فيظهر في دلالة البئر في الرؤيا وما آل إليه هذا المشهد المنامي في الواقع من دلالة على خلافة أبي بكر وعمر ﷺ لرسول الله ﷺ.

ويلاحظ أن هذه البئر في الرؤيا تحيل على السقيا بدلالتها على نفع الناس وبذل الخير لهم علما وعملا، وهو عمل الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم، وفي هذا السياق تبرز قصة موسى عليه السلام في سورة القصص: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ﴾[القصص: ٢٣]، ففي هذه الحادثة ما يشير إلى مهمة الأنبياء ومكانتهم من النفع وبذل الخير للناس، وهي حادثة تومىء إلى أثر الوحي وحاجة الناس إليه حاجتهم إلى ما تقوم به حياتهم، يعزز ذلك السياق الكلي الذي نحن بصدده من الربط بين حديث: «مثل ما بعثني به الله من العلم والهدى» وحديث (الرؤيا) مضمومة إلى حديث بئر أريس(٢)، حيث اجتمع المثل والرؤيا والحادثة في

(١) صحيح البخاري، كتاب التعبير، باب نزع الماء من البئر حتى يرو الناس، وصحيح مسلم، باب من فضائل عمر ﷺ ،برقم (٢٣٩٣).

(٢) صحيح البخاري(٣٦٧٤)، وصحيح مسلم(٢٤٠٣)، وفي الحديث أنّ أبا موسى الأشعري ﷺ انطلق خلف رسول الله ﷺ فرأه وهو جالس على بئر أريس وتوسّط قفّها وكشف عن ساقيه ودلّاهما في البئر، ثم ساق الحديث وفيه أنّ أبا بكر جاء فجلس عن يمينه على القفّ، وجاء عمر

إنشاء سياق كلّي لدلالة البئر.

وبالنظر إلى سياق قصة موسى في ماء مدين نلحظ أنه كان عابرا فلما سقى للمرأتين التقى بعد ذلك بأبيهما: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٢٥]، وهنا تبدو البئر معبرًا إلى النصر والتمكين، كما نجد ذلك في قصة يوسف مع الجب، حيث مكّن الله له في مصر بعد حادثة البئر حين التقطه بعض السيارة وشروه بثمن بخس، وهكذا انتقلت الحال بيوسف عليه السلام من ابتلاء إلى آخر، ومن عبور إلى عبور حتى رفع أبويه على العرش وخرّوا له سجّدا في نهاية القصة.

وتأتي أخيراً موقعة بدر، تلك المعركة الفاصلة بين الإسلام والكفر، لتعبُر بالنبي ﷺ وأصحابه إلى النصر والتمكين، فكان قليب بدر ملتقى لمصارع رؤوس الشرك من صناديد قريش.

ويلاحظ في سياق العبور ما يتّسق مع الهجرة، فقد انتقل يوسف عليه السلام إلى مصر في طريق ابتلائه، وهاجر موسى عليه السلام إلى مدين، وكذلك هاجر النبي ﷺ تاركًا قومه الذي طردوه وحاربوه وانتقل إلى المدينة، ثم ظهر نصره عليهم في بدر.

يقول ابن عاشور في مقاصد سورة يوسف: "وفيها العبرة بهجرة قوم النبي ﷺ إلى البلد الذي حلّ به كما فعل يعقوب عليه السلام وآله، وذلك إيماءٌ إلى أنَّ قريشًا ينتقلون إلى المدينة مهاجرين تبعًا لهجرة النبي ﷺ"(١)، وكذلك الأمر في عبور موسى عليه السلام بماء مدين حيث كان في "هجرة نبويّة تشبه هجرة إبراهيم عليه السلام"(٢).

وتختتم معاقد البئر الدلالية في سياقها التصوري بالمعقد الأخير وهو العاقبة،

فجلس عن يساره، ثم جاء عثمان فجلس وجاهه في الشقّ الآخر من البئر. قال شريك بن عبد الله: قال سعيد بن المسيّب: فأوّلتُها قبورهم. قلت: وهذه هي الحادثة في مقابل المثل والرؤيا.

(١) التحرير والتنوير، م٥/ ج١٢/ ص ١٩٩.

(٢) المرجع السابق، م٨/ ج٢٠/ ص ٩٦.

نجاة وهلاكا، ففي هذا المستوى تحضر البئر بمعجمها ودلالتها التاريخية والكنائية والتمثيلية، ويمكن ملاحظة ذلك في التعبير القرآني من جهات عدة، حيث يعبّر عن النصيب من العذاب بالذنوب﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾[الذاريات: ٥٩]، قال ابن عاشور: "والذنوب الدلو العظيمة يستقي بها السقاة على القليب كما في حديث الرؤيا"(١)، وهو "تمثيل لهيئة تساوي حظ الذين ظلموا من الأمم السالفة بهيئة الذين يستقون من قليب واحد"(٢)، وفي هذا السياق تبرز حادثة قتلى بدر وهلاكهم ثم إلقاؤهم في القليب، وقليب بدر بئر تحيل بمآلها إلى عاقبة الظالمين.

كما عبّر القرآن عن الهلاك بالكناية في قوله تعالى: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾[الحج: ٤٥]، وكما أنّ البئر استعملت في هذا السياق في الدلالة على سوء العاقبة، فهي أيضًا تستعمل للإشارة إلى حسن العاقبة، كما في قصة يوسف، حيث بُشّر يوسف عليه السلام أثناء إلقائه في الجبّ بقوله: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف: ١٥]، فأعلمه الوحي بواسطة الملك "بما يدلُّ على أنّ الله سيخلصه من هذه المصيبة وتكون له العاقبة على الذين كادوا له"(٣)، كما أنّه "إيذان بأنّه سيؤانسه في وحشة الجبّ بالوحي والبشارة"(٤).

نخلص مما سبق أن دلالة البئر في السياق الكلي ذات أربعة معاقد: الرؤيا، والسقيا، والعبور، والعاقبة، وقد ظهر ذلك جليا مع ثلاثة من أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام، نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، ويوسف وموسى عليهما السلام.

وبالنظر إلى السياق الكلّي، فيما مرّ، تبدو الرؤيا ذات علاقة بالوحي في بدئه

(١) التحرير والتنوير، م١١/ ج٢٧/ ص٣٠.
(٢) المرجع السابق.
(٣) المرجع السابق، م٥/ ج١٢/ ص٢٣٤.
(٤) المرجع السابق.

وبشارته، والسقيا في هديه وبركته، والعبور في الهجرة والانتقال من بلد إلى بلد، والعاقبة في نجاة وتمكين المؤمنين وهلاك الظالمين المكذّبين.

كما أنه يمكن النظر إلى علاقة الرؤيا بالتأويل وعلاقة السقيا بالاستنباط، حيث يتعلق التأويل بما يضرب مثلا ومجازا، ويتعلّق الاستنباط بما ينطوي على المعاني اللطيفة والدلالات السخية التي يتسع لها السياق الكلي للبيان في الكتاب والسنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتمّ التسليم.

خاتمة البحث

في ختام هذه الدراسة التي تناولنا فيها مفهوم الاستنباط في مسار السياق التصوّري، وهو سياق استعاريّ إدراكيّ، تبيّن أن هذا المفهوم أوسع من أن نقصره على مجرّد الاستخراج، وهذا يجعل دلالته قابلة لاستيعاب التأويل وفقًا لشروط السياق وضوابط الاستنباط، وهي شروط وضوابط غير شحيحة بالدلالة، وإنما سخيّة سخاء المكونات المعجمية والتمثيلية والإيحائية التي تربط هذا المفهوم الشرعي بعناصر مهمة تحضر ضمن الاستعارة التصوّرية الإدراكية أبرزها: الغيث، الأرض، البئر، وبمجموع هذه العناصر يظهر أن دلالة الاستنباط مرتبطة بسياقين: سياق تصويري يكشف عن العلاقة بين الهدى والعلم من جهة، والغيث والنماء وما يتبع ذلك من الازدهار من جهة أخرى، وسياق آخر هو السياق التصوّري الذي يكشف عن أن مفهوم الاستنباط مرتبط بنسق كليّ يتضمّنه بيان الوحي، كتابًا وسنّة، يمكن أن نشير إليه في النتائج الآتية:

١ ـ نصّ الوحي القرآني على مفردة الاستنباط في سياق العلم: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ﴾[النساء: ٨٣]، وهو ما يشير إلى سخاء هذه المفردة دلاليًا.

٢ـ يكشف البيان النبوي عن سخاء دلالة الاستنباط، في حديث «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم»، ففي هذا الحديث صورة تمثيلية تكشف بجلاء عن هذا المفهوم الشرعي وسخائه.

٣ـ يرتبط مفهوم الاستنباط ضمنا بالبئر، خازنة الماء، بما يشير إلى علاقة ماء البئر بماء الغيث، وهو ما يربط في نسق كامل عناصر مفهوم الاستنباط التي تجعلها أكثر سخاء وأبعد من معنى الاستخراج، بل يدخل في ذلك الازدهار والاستثمار، وهما معنيان يتسع بهما فضاء التأويل.

٤ـ يرتبط مفهوم الاستنباط، بعناصره المعجمية والتمثيلية، بأفق التأويل فيما يتعلّق

بالتمثيل الذي يحتاج إلى تأوّل وتدبّر، وهكذا تلتقي دلالة الاستنباط بدلالة التأويل في نسق تصوّري كامل.

٥ ـ يظهر من خلال تتبّع النسق التصوّري الكامل لمفهوم الاستنباط وارتباطه بالبئر، أنّ للبئر في سياق بيان الوحي حضورًا إشاريًّا ضمن أربعة موضوعات منتظمة في بيان الوحي هي: الرؤيا، السقيا، العبور، العاقبة، وأنّ هذه الموضوعات المحورية ترتبط برحلة الهدى والعلم في قصة الوحي من طريق الأنبياء: محمد ﷺ، وموسى عليه السلام في خروجه من مصر إلى مدين، ويوسف عليه السلام في محنته مع إخوته وإلقائه في الجبّ، حيث اجتمعت في سياق هؤلاء: الرؤيا، والسقيا، والعبور، والعاقبة بشقّيها: نجاة المؤمنين وهلاك الظالمين.

٦ـ تلك دلالات معجمية وتمثيلية وإشارية تجعل مفهوم الاستنباط بنية تصوّرية إدراكية ذات سخاء دلالي لارتباطها ببيان الوحي السخي، كتابا وسنة، وهو ما يكشف عن عمق دلالي لهذا المفهوم يجعله أولى من أيّ مفهوم آخر في سياق العلم والمعرفة.

٧ـ يظهر أخيراً الفارق بين منظومتين فكريتين مختلفتين، منظومة تستند على الاستنباط كنسق تصوّري يتضمّن مفهوم التأويل ضمن مفرداته، ومنظومة أخرى على العكس، تستند على التأويل كنسق تصوّري فكري، تجعل الاستنباط ضمن مفردات التأويل.

٨ ـ بناء على ما سبق يتضح الفرق بين المنهج الاستنباطي والمنهج التأويلي في تفسير وقراءة بيان الوحي، حيث يستند الأوّل على النقل مستعينًا بالعقل، في حين يستند الثاني على العقل مستعينًا بالنقل، فالفرق بينهما في الرتبة والأولويّة عند التشريع، وبذلك يظهر سبب الاختلاف والخلاف الحادّ بين المنهجين في النظر والاستدلال، وهذا هو جوهر الفرق بين أهل الظاهر وأهل التأويل في التعامل مع النصوص الشرعية.

بناء على ما سبق من نتائج يوصي الباحث بما يلي:

١. تجديد النظر في مفهوم الاستنباط وتثميره وإحياؤه في الدراسات البينية، بحيث يستثمر في السياق البلاغي والنقدي، ونقله من حقل الدراسات الشرعية إلى الدراسات البيانية، النثرية والشعرية.

٢. توسيع مفهوم الاستنباط معجميا ودلاليا، ونقله من مستوى الاصطلاح إلى مستوى التفكير الكلي منهجا ودلالة وطريقة نظر في النصوص البيانية، شرعية وشعرية.

المصادر والمراجع

١. **الاستعارات التي نحيا بها**، جورج لايكوف ومارك جونسون، ترجمة عبد المجيد جحفة، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، دار توبقال، ١٩٩٦م.

٢. **الأسرار البلاغية في الفرائد القرآنية**، أ.د. عبد الله عبد الغني سرحان، الطبعة الأولى، الرياض، دار الحضارة، ١٤٢٣هـ - ٢٠١٢م.

٣. **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، ابن قيّم الجوزية، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، د. ط، مصر، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

٤. **البرهان في علوم القرآن**، الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، د. ط، صيدا، بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.

٥. **بلاغة الخطاب الديني**، إعداد وتنسيق محمد مشبال، الطبعة الأولى، د. م، منشورات ضفاف، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.

٦. **بلاغة الفرائد الفذّة في القرآن الكريم: المضارع نموذجاً**، إبراهيم، كمال عبد العزيز، مجلّة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة- كلية دار العلوم، العدد ٢٨، ٢٠٠٠م، ص ٢٤.

٧. **تاج العروس للزبيدي**، ط. دار ليبيا للنشر والتوزيع- بنغازي، د. ت.

٨. **تأويل النص، دراسة في العلاقات المشتركة بين تأويل الرؤيا في الصحيحين وقراءة النص الشعري**، سعود حامد الصاعدي، الطبعة الأولى، جدة، الأعمال الثقافية، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٩. **التبيان في أيمان القرآن**، ابن القيم الجوزية، تحقيق عبد الله البطاطي، الطبعة الأولى، د. م، دار عالم الفوائد، ١٤٢٩هـ.

١٠. **التحرير والتنوير**، ابن عاشور، محمد الطاهر، د. ط، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

١١. **تحليل النص الفقهي، دراسة نظرية تطبيقية**، السعيد، خالد بن عبد العزيز، الطبعة الأولى، مركز تأصيل للدراسات والبحوث، ١٤٣٧هـ ٢٠١٦م.

١٢. **التصوير البياني**، أبو موسى، محمد محمد، الطبعة السابعة، القاهرة، دار وهبة، ٢٠٠٩م.

١٣. **التعريفات**، الجرجاني، علي بن محمد، تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي، د. ط، القاهرة، دار الفضيلة، د. ن.

١٤. **ثمرات العلوم**، لأبي حيّان التوحيدي، شرح وتعليق وتحقيق د. أنور محمود زناتي و د. محمد غالب بركات، د. ط، سورية، دمشق، دار نينوى، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.

١٥. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، الطبري، محمد بن جرير، عبد الله بن عبد العزيز التركي، ط١، القاهرة، دار هجر، ١٤٢٢هـ.
١٦. **درء تعارض العقل والنقل**، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، تحقيق محمد رشاد سالم، د. ط، الناشر جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤١١هـ-١٩٩٢م.
١٧. **دلالة الألفاظ على المعاني عند الأصوليين**، محمود توفيق محمد سعد، الطبعة الثانية، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م.
١٨. **دلائل النظام**، عبد الحميد الفراهي الهندي، الطبعة الأولى، المطبعة الحميدية، ١٣٨٨ه.
١٩. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، الألوسي، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، الطبعة الأولى، دار الغد العربي، د. ت.
٢٠. **سبل استنباط المعاني من الكتاب والسنة، دراسة منهجية تأويلية ناقدة**، محمود توفيق محمد سعد، الطبعة الأولى، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٢٢هـ، ٢٠١١م.
٢١. **شرح أحاديث من صحيح البخاري، دراسة في سمت الكلام الأول**، أبو موسى، محمد محمد، الطبعة الثانية، مصر، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
٢٢. **صحيح مسلم بشرح النووي**، المطبعة المصرية بالأزهر، ١٣٤٧هـ - ١٩٥٩م.
٢٣. **الصورة في الشعر الجاهلي**، الحبيب الدريدي، الطبعة الأولى، تونس، دار مسكلياني، ٢٠١٩م.
٢٤. **العباب الزاهر واللباب الفاخر**، للصغاني، تحقيق محمد حسين آل ياسين، د. ط، د.م، د. ت.
٢٥. **العقائدية وتفسير النص القرآني**، المطرفي، ياسر بن ماطر، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، مركز نماء للبحوث والدراسات، ٢٠١٦م.
٢٦. **علم الاستنباط من القرآن، المفهوم والمنهج**، الزهراني، نايف بن سعيد، الطبعة الأولى، جدة، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، ١٤٤٠هـ، ٢٠١٨م.
٢٧. **عمدة الحفّاظ في تفسير أشرف الألفاظ، معجم لغوي لألفاظ القرآن الكريم**، صنّفه الشيخ أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي. حققه وعلّق عليه محمد التونجي، د. ط، بيروت، عالم الكتب، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
٢٨. **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، العيني، بدر الدين العيني، د. ط، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث، د. ن.
٢٩. **غريب الحديث**، الخطابي، تحقيق العزباوي: ١/ ٥٢١، طبعة جامعة أم القرى، سنة ١٤٠٢هـ.

٣٠. **فتح الباري**، العسقلاني، ابن حجر، القاهرة، دار الريان للتراث، د. ط.
٣١. **لسان العرب**، لابن منظور، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
٣٢. **الله والإنسان في القرآن، علم دلالة الرؤية القرآنية للعالم**، توشيهيكو إيزوتسو، ترجمة وتقديم د. هلال محمد الجهاد، الطبعة الأولى، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٧م.
٣٣. **مراجعات في أصول الدرس البلاغي**، أبو موسى، محمد محمد، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٣٤. **مصطلحات الآبار والمياه في اللغة العربية**، مرتاض، عبد الجليل، مجلة اللغة العربية، الجزائر، الناشر المجلس الأعلى للغة العربية، العدد ٦، ٢٠٠٢م، ص ٢٣٦.
٣٥. **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، تحقيق محمد عبد الله النمر، عثمان ضميرية، سليمان مسلم الحرش، الطبعة الرابعة، دار طيبة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٣٦. **المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة**، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، الناشر دار الدعوة.
٣٧. **معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم**، للراغب الأصفهاني، تحقيق نديم مرعشلي، بيروت، لبنان، دار الفكر، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
٣٨. **معجم مقاييس اللغة**، لابن فارس، وضع حواشيه إبراهيم شمس، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨م، ١٤٢٩هـ.
٣٩. **مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر**، الطيّار، د. مساعد بن سليمان بن ناصر، الطبعة الثانية، دار ابن الجوزي، ١٤٢٧هـ.
٤٠. **نظرات فقهية وتربوية في أمثال الحديث مع تقدمة في علوم الحديث**، عبد المجيد، عبد المجيد محمود، الطبعة الثانية، الطائف، مكتبة البيان، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
٤١. **نظرية الاستعارة التصورية والخطاب الأدبي**، د. عمر بن دحمان، الطبعة الأولى، القاهرة، رؤية ٢٠١٥م.
٤٢. **نظم الدرر في تناسب الآي والسور**، البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر، د. ط، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، د. ت.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الملخص	١
المقدمة	٣
المبحث الأوَّل: (التأصيل)	٥
المطلب الأوّل: (جذر المفهوم ومكوّناته المعجمية في السياق	٥
المطلب الثاني: (تأصيل المفهوم)	٩
المطلب الثالث: المعنى بين التكليف والتثقيف	١٦
المبحث الثاني: (أفق التأويل)	٢٢
المبحث الثالث: (سياق البئر ودلالاته التصوّريّة)	٢٦
خاتمة البحث	٣٦
المصادر والمراجع	٣٩
فهرس الموضوعات	٤٢